المختصر في الملاحم والفتن

د. ليلى كعدان

الكاتب

د. ليلى حمدان كاتبةٌ فلسطينيةٌ، نشأتْ وترعرعت في ديار الهجرة بين بلاد العرب والغرب، حا صلةٌ على درجة الماجســتير في الطب، لكن هذا لم يمنعها من الانشــغال بطلب العلم الشــرعي والدعوة والأدب والإعلام والكتابة في قضايا الأمة المسلمة.

عملت في حقل الدعوة في الغرب، وكان لها نشــاطٌ في إلقاء المحاضــرات في المســاجد وتعليم أبناء الجالية المسلمة أصول دينهم وعقيدتهم، وكذا لغتهم العربية.

عملت في حقل الدعوة على الإنترنت للإشـراف والعضـوية في منتدياتٍ لطلب العلم والدعوة. وحاصـلةٌ على دورات في التســويق والتحرير الصــحفي، وكذا التصــميم الدعائي... حاضِــرًا هي كاتبةٌ في موقع تبيان.

إلى كل روح ترجو رحمة الله...

إلى كل روح تروم لقمة الفوز...

الفهرس

الكاتب..... ١
الفهرس..... ٣
المقدمة..... ٥
هل نحن حقًا على أعتاب النهاية؟ وفي أي مرحلة نكون؟..... ٦
اقترب للناس حسابهم وهم في غفلةٍ معرضون!..... ١٠
ثمانٍ من علامات الساعة الصغرى نعيشها في حاضرنا اليوم..... ١٣
مع اشتعال أرض الشام «موطن الملاحم» هذه هي العلامات الصغرى التي توشك أن تتحقق!..... ١٩
الملحمة الكبرى وخروج المهدي: قصة أحداثٍ عظامٍ تنتظر الأرض ويضطرب لها البشر..... ٢٥
الملحمة الكبرى: صفحةٌ موثّقةٌ من أحداث الغد..... ٣١
الخاتمة..... ٣٧

هذا الكتاب من إنتاج ورعاية

المقدمة

لقد تسابق أهل العلم في سبر أغوار أحاديث آخر الزمان وما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنباء، وتجلى هذا الحرص والاهتمام في احتواء المكتبة الإسلامية للعديد من الكتابات التي تناولت هذا الشأن بتفصيلٍ واستفاضة.

ومع حجم الكتابة في هذا الباب، لا تزال شريحةٌ كبيرةٌ من الأمة المسلمة مغيّبةً عن حقائق الفتن والملاحم التي تنتظرها بل والتي تعايشها اليوم.

ولأن الأمر متصلٌ اتصالًا متينًا بيقين الإيمان، وبالبشريات وما يحفّز الهمم، ارتأيت في تلخيص زبدة ما كتبه أهل العلم في هذه الورقات، فرصةً لجذب الانتباه لأمورٍ عظام، ستزيح معرفتُها غمامات الكآبة والإحباط واليأس، ويشحذ التبصّر فيها الأنفس لتشمّر وتنطلق مُسابِقةً، ذلك أن الحياة الدنيا إنما هي امتحان قصير لن نطيل معه المكوث أكيدٌ.

وقد كنت شرعت في كتابة هذا المختصر على هيئة سلسلةٍ من المقالات نشرتُها مع موقع تبيان، إلا أنني ارتأيت أن أختمها بموضوع الملحمة الكبرى بمزيد تفصيلٍ وتوضيح، تلبيةً لمطلب بعض القراء.

وأرجو أن يكون في هذا الجمع نفعٌ وإفادةٌ، وتحريضٌ وبشارة.

فما كان من إصابةٍ ففضلٌ من الله وحده سبحانه، وما كان من خطأٍ فمن نفسي ومن الشيطان، والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

ليلى حمدان

هل نحن حقًا على أعتاب النهاية؟ وفي أي مرحلة نكون؟

إن من أهم المعارف التي لابد أن يلمّ بها المسلم لفهم واقعه والتبصّر في غَدِه هي الأنباء التي جاء بها الرسول صلى الله عليه و سلم وأ شراط الساعة التي نبّهنا لها، ولهذا فقد انشغل المسلمون منذ صدر الإســلام الأول بأحاديث آخر الزمان والفتن وعلامات يوم القيامة، والتي تناولت أخبار الغيب والحديث عما سيكون، فأشبعث فضول المسلمين -خاصةً -وهم يشهدونها تتحقق تباعًا في كل وقتٍ يحين زمانها، بل ترسَّخ معها إيمانهم ويقينهم :إنها من دلائل النبوة ومما تميّزت به أمة محمدٍ - صلى الله عليه وسلم - من معرفة بالقادم .

مع العلم أن النبي لا يعلم الغيب إلا ما أطلعه الله عليه. ولا شك أن الإيمان بما في اليوم الآخر وعلاماته من الإيمان بالغيب الذي لا يدركه العقل، ولا سبيل لمعرفته إلا بالنص عن طريق الوحي. قال تعالى: ﴿الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

وفي هذا الزمان ا ستقرت بيننا علاماتُ الساعة ونحن في شغلٍ ساهون، أدركها البعض وتنبّهوا لها وهم في خشيةٍ وخوفٍ متلازمين، لأنهم يعلمون يقينًا أنها الوعد الحق الذي لا مناصَّ لبشرٍ ولا مخلوقٍ منه ... بينما غفل عنها آخرون وتجاهلوها...فكان التخاذل والغبن .قال الله تعالى: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ ﴾.

و شتانَ بين سلوك المصدّق بيوم الدين الذي يعمل وهو ناظرٌ لميزان السماء لا لميزان الأرض، ولحساب الآخرة لا لحساب الدُّنيا وبين سلوك المكذِّب أو الغافل عنه، فالأول له سلوكٌ فريدٌ يتميّز بالاستقامة وقوة الإيمان والبصيرة بالواقع والغد، والثبات والصبر على المصائب والشدائد، أما الثاني فأيُّ ريحٍ تقتلع جذور قناعاته وترمي به في صحاري الهوى والخوف والتيه والحسرة.

نهج التعامل مع أحاديث نهاية الزمان

وقد تأملتُ في أحاديث آخر الزمان وتبحرت في كتابات العلماء والفضلاء فوجدت الجميع متفقًا على أن الأحاديث في هذا الباب كثيرةٌ ولا أفضل من الاستناد على الصحيح والحسن منها لتتضح لنا رؤية ما ينتظرنا.

١. وقد اختار جمعٌ من العلماء تقسيم علامات الساعة إلى صغرى وكبرى، بينما قسمها آخرون إلى ثلاثة أقسامٍ وجعلوا بين الصغرى والكبرى: الوسطى، وأشاروا لها بزمن المهدي، وقسموا الصغرى إلى ثلاثة أقسام: قسمٌ منها انقضى.

٢. وقسمٌ لا يزال يتكرر.

٣. وقسمٌ لم يقع بعد.

١. في حين رجّح آخرون تقسيم الأشراط إلى القسمين التاليين: علاماتٌ قبل موعد الساعة ومنها العلاماتُ الصغرى والكبرى.

٢. وعلاماتٌ في أثناء قيام الساعة وهي تحديدًا الكبرى التي تصاحب قيامها.

العلامات الصغرى التي قبل قيام الساعة

فأما العلامات الصغرى التي قبل قيام الساعة فلا يمكن ترتيبها بصفةٍ ثابتةٍ وقاطعة، فقد تكون وقعتْ أو تتكررُ أو لم تقع بعد وقد تظهر في مكانٍ أكثرَ من غيره أو في زمانٍ أكثر من غيره، وهي تمهيدٌ لأشـــراط الســاعة الكبرى والتي بمجرد أن تبدأ أولاها فإنها تتســلســل تباعًا ويتغير حال الأرض بين يومٍ وليلة ... فلا يمكن للإنسان أن يُعوّل على ترتيبٍ أو ظهورٍ للأشراط الصغرى إلا من حيث التهيؤ لحقبة تغيراتٍ عظمى ستحل بالأرض فجأة، لن يكون له فيها وقتٌ للاستدراك أو النجاة ما لم يعد نفسه لذلك اليوم.

أشراط الساعة الكبرى

أشراط الساعة الكبرى إذا ما ظهرت أولاها، تتابعت كتتابع الخرز في النظام إذا انفرط عقده، وإذا طلعت الشـــمس من مغربها؛ قُفِل باب التوبة، وخُتِم على الأعمال، فلا ينفع بعد ذلك إيمانٌ ولا توبة؛ إلا من كان قبل ذلك مؤمنًا أو تائبًا: ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ﴾

فطوبى لمن تأهب لما بعد الموت واتعظ واعتبر من أشراط الساعة الصغرى فلم يغفل ولم يرتَبْ ـيشكّ- إننا نتحدث عن أكثر من ١٠٠ علامةٍ وما من قرنٍ إلا وظهرت فيه بعضـــها وأما في قرننا فما أكثرها... وحتى نضبط عداد الزمن، فلننظر في أي زمنٍ أصبحنا اليوم حسب أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم.

في أي زمنٍ نحن؟

لقد شـدّني حديث رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم إذ يقول في الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد والطبراني في الأوسط ورجاله ثقاتٌ ونقله الألباني في الصحيحة من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه و سلم قال: "تكون النبوّةُ فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافةٌ على منهاج النبوة فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون مُلكًا عاضًا (أي وراثيًا) فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها ثم تكون ملكًا جبريًا (أي قهريًا) فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها، ثم تكون خلافةٌ على منهاج النبوة ثم سكت ".

ومن يتدبر هذا الحديث يتجلى له أي زمنٍ وصلنا إليها اليوم خاصةً وأن الأمة تشهد زمان مخاضٍ كبيرٍ وثورة على الأنظمة الجبرية القمعية التي قهرتها عقودًا من الزمن، إنه زمن زوال الحكم الجبري بلا شك، ولا يخال عاقلٌ أن الأمة سترضى أن تقبع مرةً أخرى تحت وطأة أنظمةٍ متسلطةٍ ظالمةٍ طاغية، فقد انطلقت شرارة الثورة وإن استغرقت وقتًا إلا أنها ستنتهي بإذن الله إلى طور التحرر التام والقدرة على بسط الشورى والعدل واختيار الحكم الذي تحلم به الأمة، ألا وهو خلافةٌ على منهاج النبوة.

إنها كذلك حقبة الوعي والإدراك لحقيقة الحرب على الإسلام وحقبة صحوة أمةٍ لمواجهة أعدائها الذين كانوا دائمًا السبب في تخلفها وتعاستها ومآسيها الأمر الذي يُبشر بالملاحم وبانطلاق قوة المسلمين ضاربةً في الأرض تقيم العدل وترد الحقوق وتنتصر للمستضعفين وترد عادية الكافرين وهي حقبة الصعود التي بشرنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

إذن نحن في آخر حقبةٍ مصيريةٍ لا ندري كم ستستغرق ولكن يجب أن نعلم أن مجرد الوصول لحقبة الملاحم فإن ما يليها هو الأشراط الكبرى والتي إن ظهرت علامةٌ واحدةٌ منها فإننا أصبحنا أمام تسلسلٍ للبقية تباعًا، وينطلق العد التنازلي لنهاية عمر هذه الدنيا!...

نبصر اليوم معًا حصار العراق والشام وهو نازلة نبَّأنا بخبرها الرسول- صلى الله عليه وسلم -وبأنها كائنةٌ في آخر الزمان :فقد أخرج مسلمٌ من حديث جابرٍ قول رسول الله صلى الله عليه و سلم ...." : يوشك أهل الشام ألا يجبى إليهم دينارٌ ولا مُدْيٌ، قلنا من أين ذلك؟ قال :من قبل الروم."

ونحن نتألم جميعا اليوم لما يعيشه المسلمون في العراق والشام من حصار وعدوان، بل وما نعيشه اليوم أيضًا من تداعي الأمم على الأمة الإسلامية. نبأنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ١٤ قرنًا من

الزمان فقد جاء في الحديث عن أبي أسماء الرحبي عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يُوشكُ أن تداعى عليكم الأمم، من كل أفقٍ، كما تداعى الأكلة على قصعتها .قال :قلنا :يا رسول الله، أمن قلّة بنا يومئذ؟ قال :أنتم يومئذ كثير، ولكن تكونون غُثاءً كغُثاء السيل، ينتَزِع المهابة من قلوب عدُوّكم، ويجعل في قلوبكم الوهن. قال: قلنا: وما الوهن؟ قال: حبّ الحياة، وكراهية الموت".

وقد بشرنا النبي صلى الله عليه وسلم أن الجهاد ماضٍ إلى آخر الزمان فقد أخرج أبو داوود وابن حبان في صحيحه والحاكم في المستدرك. أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: "ستصير الأمور إلى أن تكونوا جنودًا مجندة، جندًا في العراق، وجندًا في اليمن وجندًا في الشام".

وفي رواية: "جندًا في مصر وجندًا في المشرق، وجندًا في المغرب"، فقال ابن حوالة :خِرْ(يعني اختر) لي يا رسول الله إن أنا أدركت ذلك، قال :"عليك بالشام فإنها خيرة الله من أرضه يجتبي إليها خيرته من عباده، وأما إن أبيتم فعليكم بيمنكم واسقوا من غدركم فإن الله تكفل لي بالشام وأهله ".

وقال الألباني عن هذا الحديث في تحقيقه لكتاب"فضائل الشام" :صحيح جدًا.

إن هذه الحقبة التي نمر فيها هي حقبة انحسار هيمنة الحكم الجبري وانشغال الأمة بالجهاد الموزّع على ثغور المسلمين الحساسة والرئيسة، وقد ظهر حصار الروم لنا في العراق والشام، وارتفعت معه درجة وعي المسلمين ورغبتهم في انتزاع حرياتهم ولو على حساب دمائهم لإقامة العدل الذي يحققه لهم دينهم، فإن جمعنا معها سائر أشراط الساعة التي ثَبَتَت وبشرى الرسول صلى الله عليه وسلم بزمانٍ يعمّ بين المسلمين فيه العدل ويظهر فيه المهدي، فإننا نتوقع اقتراب زمن أشراط الساعة الكبرى أكثر من أي وقتٍ مضى.

إننا على أبواب الملاحم وإننا على مقربةٍ من فتنة الدجال!

اقترب للناس حسابهم وهم في غفلةٍ معرضون!

سبق وحددنا الزمان الذي تعيشه أمتنا المسلمة في محور زمن نهاية العالم، وتبيّن لنا أننا في آخره وعلى أبواب الملاحم وقريبون من فتنة الدجال كما يؤكدّه حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم -وتدلُّ عليه أشراط الساعة الصغرى ...ولكن قد يغفل الكثير من الناس عن أشراط الساعة الصغرى التي تحقَّق معظمها، لهذا السبب سنلقي نظرةً على أبرز هذه الأشراط حتى نتدبرها ونتفكر في حا ضرٍ أنبأ به نبيّنا قبل قرونٍ طويلة وكثيرةٍ من الزمن يؤكد بكل يقينٍ أننا اقتربنا من ساعة الختام!...

أشراطٌ صغرى مضت وانقضت وأخرى تكررت

١- بعثة النبي -صلى الله عليه وسلم-

لقد سبق وأن ذكرنا أن من أشراط الساعة الصغرى ما مضى وانقضى، كذلك كانت بعثة الرسول و وفاته كما جاء في صحيح مسلمٍ عن أنسٍ رضي الله عنه: قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"بُعِثت أنا والسَّاعةُ كهاتين" .قال :وضم السبابة والوسطى .فأول أشراط السَّاعة كانت بعثة المصطفى صلى الله عليه وسلم، كونَه النبيَّ الأخير لا نبي بعده، بل تليه القيامة كما يلي السبابة والوسطى، وليس بينهما إصبعٌ أخرى، أو كما يفضل إحداهما الأخرى.

٢- وفاة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-

وكذلك موت النبي صلى الله عليه وسلم من أشراطها التي مضت، ففي صحيح البخاري من حديث عوف بن مالكٍ رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"أُعدد ستًا بين يدي السَّاعة : مَوتي "...إلى آخر الحديث.

٣- انشقاق القمر

أشراطٌ أخرى وقعت في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وشهدها الصحابة كانشقاق القمر. قال تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ * وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾.

٤- فتنة الصحابة -رضي الله عنهم-

وأخرى حدثت بعد وفاة الرسول صلى الله عليه و سلم كما كان مع خبر فتنة الصحابة التي اشتعلت بعد وفاة عمرَ بنِ الخطاب رضي الله عنه.

٥- نار الحجاز

وكذلك تحقق خبر نار الحجاز في القرن السابع والتي أضاءت أعناق الإبل في بصرى، وهي بلاد حوران بجوار دمشق فقد جاء في صحيح مسلمٍ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:"لا تقوم السَّاعة حتى تخرج نارٌ من أرض الحجاز؛ تضيء أعناق الإبل ببصرى".

٦- طاعون عمواس

وقد شهد الصحابة طاعون عَمَواس الذي قضى فيه عبيدةُ بنُ الجراح رضي الله عنه، ووقع كما نبأهم به الصادق المصدوق، حيث جاء في حديث عوفِ بن مالكٍ السابق قوله صلى الله عليه و سلم:"أعدد ستًا بين يدي السَّاعة "...فذكر منها: "ثم موتان يأخذ فيكم كقعاص الغنم".

٧- واقعة صفين

وكذلك شهد الصحابة واقعة صفين كما قال صلى الله عليه وسلم في صحيح البخاري ومسلم:"لا تقوم السَّاعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان، يكون بينهما مقتلةٌ عظيمة، دعواهما واحدة".

فالفئتان هما طائفة عليٍّ رضي الله عنه ومن معه، وطائفة معاوية رضي الله عنه ومن معه، على ما ذكر الحافظ ابن حجرٍ في الفتح.

٨- الفتوحات والانتصارات

ومن العلامات التي نبّأ بها الرسول صلى الله عليه و سلم المسلمين، الفتوحات والانتصارات وقد فتحت فارسُ والروم، وزال ملك كسرى وقيصر، وفتحت بيت المقدس في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة ست عشرة من الهجرة؛ وغزا المسلمون الهند، وفتحوا القسطنطينية، كما وعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أشراطٌ صغرى وقعت وهي مستمرةٌ أو قد تتكرر

١- قتال الترك والأعاجم التتار

قد وقعت حين قاتل المسلمون الترك في عصر الصحابة رضي الله عنهم، وذلك في أول خلافة بني أمية، في عهد معاوية، وكذا قتال الأعاجم الذي نبأنا به الرسول صلى الله عليه وسلم وقد يتكرر، كما قاتل المسلمون التتار في عصر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وغيره.

٢- توقف الجزية وظهور الخوارج

وكذا توقف الجزية والخراج وهذه وقعت وواقعةٌ في عصـرنا اليوم، دون أن ننسـى ظهور الخوارج ففي الصحيحين عن عليٍّ رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:"سيخرج قومٌ في آخر الزمان، أحداث الأسـنان، سـفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البرية، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السـهم من الرمية، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم؛ فإن في قتلهم أجرًا لمن قتلهم يوم القيامة" .

ولا يزال الخوارج يَظهرون حتى يدرك آخرَهم الدجال، ففي الحديث عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ قال: "ينشأ نشءٌ يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيَهُم، كلما خرج قرنٌ؛ قُطع) أكثر من عشرين مرة (حتى يخرج في عِراضِهم الدجال ".

٣- خروج الدجالين ومدعي النبوة

وخروج الدجالين والكذابين مدعي النبوة ما زال منذ بداية الإسلام، وقد روي من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه في صحيح مسلمٍ بلفظ:"إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ كَذَّابِينَ فَاحْذَرُوهُمْ".

وقد ظهر مسـيلمة الكذاب وظهر كذلك الأسـود العنسـي في اليمن، وادعى النبوة، فقتله الصـحابة قبل موت النبي صلى الله عليه وسلم. وظهرت سجاح، وادعت النبوة، وتزوجها مسيلمة، ثم لما قتل؛ رجعت إلى الإسلام، وغيرهم الكثير ظهروا ويظهرون وقد يظهرون مستقبلًا.

٤- الأمن الذي سيعرفه المسلمون

ومما نبأ به النبي صلى الله عليه وسلم الأمن الذي سيعرفه المسلمون، ففي مسند أحمد عن أبي هريرة رضـي الله عنه؛ قال: قال رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم: "لا تقوم السَّـاعة حتى يسـير الراكب بين العراق ومكة، لا يخاف إلا ضلال الطريق". وقد وقع في زمن الصحابة رضي الله عنهم، وذلك حينما عم الإسـلام والعدل البلاد التي فتحها المسـلمون وقد تكرر في أزمنةٍ أخرى وعلى الأرجح أنه سـيتكرر في عصر المهدي.

كل هذه كانت علامات وقعت وشهدها المسلمون تمامًا كما نبأهم بها الرسول صلى الله عليه وسلم فمنها التي لن تتكرر أبدًا، ومنها التي رغم ثبوت وقوعها إلا أنها قد تتكرر، فماذا بقي لنعرفه من أشراط الساعة الحاضرة بيننا في زماننا اليوم!؟ هذا ما سنتحدث عنه في البقية القادمة، فكونوا بالقرب.

ثمانٍ من علامات الساعة الصغرى نعيشها في حاضرنا اليوم

علامات الساعة الصغرى الحاضرة بيننا

بعد أن بسطنا أهم أشراط الساعة الصغرى التي انقضت والتي قد تتكرر، وكنا قبلها قد تحدثنا عن المرحلة التي تعيشها أمتنا المسلمة في محور زمن نهاية العالم. نسلط الضوء على علاماتٍ كثيرةٍ نبأنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم نعيشها واقعًا عيانًا في وقتنا الحاضر لندرك أنْ باجتماع أكثرها في عصرنا فإننا على مشارف النهاية لهذه الرحلة الدنيوية التي نُمتحن فيها.

١- إسناد الأمر إلى غير أهله

لعل من أبرز أشراط الساعة إسناد الأمر إلى غير أهله، ففي صحيح البخاري قال صلى الله عليه وسلم: " إذا وسد الأمر لغير أهله فانتظر الساعة".

وهذه حالة يئن لها ضمير الصادقين الباغين مصلحة أمتهم حين يشهدون رفعة أسافل الناس وتهميش أرفعهم.

٢- اختلال المقاييس

لقد أخبرنا الرسول صلى الله عليه وسلم أن المقاييس التي يُقوَّم بها الرجال تختل قبل قيام الساعة، وقد أخرج الإمام أحمد وابن ماجة والحاكم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "سيأتي على الناس سنواتٌ خداعاتٌ يصدَّق فيها الكاذب، ويكذَّب فيها الصادق ويؤتمَن فيها الخائن ويخوَّن فيها الأمين وينطق فيها الرويبضة"، قيل :وما الرويبضة؟ قال :"الرجل التافه يتكلم في أمر العامة".

وفي الصحيحين عن حذيفة رضي الله عنه فيما رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم: "حتى يُقال للرجل :ما أجلده !ما أظرفه !ما أعقله !وما في قلبه مثقال حبةٍ من خردلٍ من إيمان." !

وقد روى الإمام عبد الله بن المبارك بسنده عن أبي أمية الجمحي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن من أشراط السَّاعة ثلاثًا: إحداهن: أن يُلتمَس العلم عند الأصاغر."...

وقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: "يكون في آخر الزمان دجالون كذابون، يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم، فإياكم وإياهم، لا يضلونكم ولا يفتنونكم".

كما جاء في مسند أحمد حديث عبد الله بن مسعودٍ رضي الله عنه قوله صلى الله عليه و سلم:"إن بين يدي السَّاعة .... :شهادة الزور، وكتمان شهادة الحق".

وفي الحديث القدسي الصحيح -مسلم عن معقل بن يسار-: "عبادة في الهرج كهجرة إلي"، لك أجر الصحابة الذين هاجروا، أن تعبد الله في زمن الفتن، في زمن أن يُكذب الصادق، وأن يُصدق الكذوب، أن يُؤتمن الخائن، أن يُخون الأمين، في زمن الأمر بالمنكر، والنهي عن المعروف، في زمن أن يصبح المعروف منكرًا، والمنكر معروفًا، في زمن النساء الكاسيات العاريات، المائلات المميلات، الملعونات في هذا الزمن.

فمن لم يشهد هذه الأسقام اليوم بين الناس...؟!

٣- الفساد بين الناس

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما نقله صحيح البخاري: "ليكونَّ في أمتي أقوامٌ يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف".

وقال صلى الله عليه و سلم: "لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي مأخذ القرون قبلها شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع" .قيل له :يا رسول الله، كفارس والروم، قال:َمنْ الناس إلا أولئك" ..وفي رواية عن أبي سعيد: قلنا: يا رسول الله! اليهود والنصارى؟ قال: "فمن؟.."!

وها نحن اليوم نبصر شريحةً كبيرةً من المسلمين يتبعون الغرب الكافر في كل شيءٍ ولو دخلوا جحر الضب لدخلوه، وحين نتأمل الجفوة التي تفشت بين جموع المسلمين-إلا لمصلحة- ندرك معنى حديث ابن مسعود الذي رواه أحمد؛ حين قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن من أشراط السَّاعة أن يسلم الرجل على الرجل، لا يسلم عليه إلا للمعرفة".

وفي مسند أحمد عن حذيفة رضي الله عنه؛ قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن السَّاعة؟ فقال: "علمها عند ربي، لا يجليها لوقتها إلا هو، ولكن أخبركم بمشاريطها، وما يكون بين يديها، إن بين يديها فتنةً وهرجًا" .قالوا :يا رسول الله !الفتنة قد عرفناها فالهرج ما هو؟ قال :"بلسان الحبشة : القتل .ويلقى بين الناس التناكر، فلا يكاد أحدٌ أن يعرف أحدًا".

فوقوع التناكر يكون عند كثرة الفتن فيحكم الناس المصالح وحظوظ النفس؛ وتنتشر بينهم الأنانية البغيضة، فتتلاشى القيم الأخلاقية وتتبدد الأخوة الإيمانية ويندثر الحب في الله والتعاون على البر والتقوى تدريجيًا كلما طغت الأهواء وحب الدنيا.

٤- الموت

وهذا ما نبأنا به رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم إذ يقول في الحديث المتفق عليه: "إن بين يدي الساعة لأيامًا ينزل فيها الجهل ويرتفع العلم ويكثر فيها الهرج، والهرج القتل".

وها نحن في كل يومٍ نرى أعداد القتلى تتناقلها الأخبار فيجاوز الإحصاء الآلاف من القتلى، ولا يعجب له أحد! وعن أنس بن مالكٍ رضـي الله عنه يرفعه إلى النبي صـلى الله عليه وسـلم؛ قال: "إن من أمارات السَّاعة ....أن يظهر موت الفجأة".

وهذا ما يُسمى السكتة القلبية وكذلك الجلطات التي تؤدي للموت المفاجئ.

٥- الفتن

وفي صحيح مسلمٍ عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: نادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم: الصلاة جامعة. فاجتمعنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقًّا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شـر ما يعلمه لهم، وإن أمتكم هذه جُعل عافيتها في أولها، وسيصيب آخرَها بلاءٌ وأمور تنكرونها، وتجيء فتنة يُرقِّق بعضها بعضًا، وتجيء الفتنة فيقول المؤمن: هذه مُهلكتي، ثم تنكشـف، وتجيء الفتنة فيقول المؤمن: هذه هذه، فمن أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأتِ إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه، ومن بايع إمامًا فأعطاه صـفقة يده وثمرة قلبه فليطعه إن اسـتطاع، فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر"

وهذه من أشـراط السَّـاعة ظهور الفتن العظيمة التي يلتبس فيها الحق بالباطل، فتزلزل الإيمان ويتغير الحال من إيمانٍ إلى كفرٍ ومن كفرٍ إلى إيمانٍ بين اليوم والآخر، ويجدر الإشـارة إلى أن أكثر الفتن التي ظهرت في المسلمين كان منبعها من المشرق، من حيث يطلع قرن الشيطان، وهذا مطابقٌ لما أخبر به نبي الرحمة صـلى الله عليه وسـلم كما جاء في الحديث عن ابن عمر رضـي الله عنهما أنه سـمع رسـول الله صلى الله عليه وسلم وهو مستقبلٌ المشرق يقول: "ألا إن الفتنة ها هنا، ألا إن الفتنة ها هنا، من حيث يطلع قرن الشيطان" رواه الشيخان.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما؛ قال: دعا النبي صلى الله عليه وسلم: "اللهم بارك لنا في صاعنا ومُدِّنا، وبارك لنا في شـامنا ويمننا. فقال رجلٌ من القوم: يا نبي الله! وفي عراقنا. قال: "إن بها قرن الشـيطان، وتهيج الفتن، وإن الجفاء بالمشرق" رواه الطبراني، ورواته ثقات.

فمن العراق ظهر الخوارج، والشـــيعة، والروافض، والباطنية، والقدرية، وغيرها وأكثر مقالات الكفر كان منشـــؤها من المشـــرق؛ من جهة الفرس المجوس؛ كالزردشـــتية، والمانوية، والمزدكية، والهندوســـية، والبوذيَّة، والقاديانية ....إلى غير ذلك .والشيوعية الملحدة مركزها رو سيا والصين الشيوعية، وهما في المشرق، وسيكون ظهور الدجال ويأجوج ومأجوج من جهة المشرق.

والفتن ليس لها حصرٌ، فمنها فتنة النساء، وفتنة المال، وحب الشهوات، وحب الإمارة والسيادة؛ كلها فتنٌ ربما تهلك الإنسان، وتعصف به إلى مهاوي الرَّدى.

٦- المال الحرام

إننا نعيش اليوم في عصر أصبحت فيه الربا مَئقبةً، وانتشاره بين الناس عادةً محببة، وعدم المبالاة بأكل الحرام دهاءً ومَكْرَمة، فقد روى الطبراني الحديث عن ابن مســعود رضــي الله عنه عن النبي صــلى الله عليه وسلم أنه قال:"بين يدي السَّاعة يظهر الربا".

وفي الصـحيح عن أبي هريرة رضـي الله عنه أن رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم قال: "ليأتين على الناس زمان لا يبالي المرء بما أخذ المال، أمن حلال أم من حرام".

٧- التطاول في البنيان

وفي حديث عمر رضي الله عنه في إجابة عن سؤال عن أمارات الساعة. قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم- :"أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العَالَةَ رعَاءَ الشَّاءِ يتطاولون في البنيان".

٨- الكوارث في الأرض

ومما ثبت من أشراط، ما جاء في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تقوم السَّاعة حتى تكثر الزلازل".

وروى الترمذي عن عمران بن حصينٍ رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "في هذه الأمة خسفٌ ومسخٌ وقذف .فقال رجلٌ من المسلمين :يا رسول الله !ومتى ذلك؟ قال: إذا ظهرت القيان والمعازف، وشُربت الخمور".

وإذا كان المسخ يحتمل أن يكون معنويًا أيضًا؛ فإن كثيرًا من المستحلين للمعا صي قد مُسِخت قلوبهم، فأصبحوا لا يفرقون بين الحلال والحرام.

علاماتٌ تفشت

وقال صلى الله عليه وسلم: "إن من أشراط الساعة أن يفيض المال، ويكثر الجهل، وتظهر الفتن وتفشو التجارة" رواه النسائي والحاكم.

وللبخاري في الأدب المفرد وأحمد عن عبد الله بن مسعودٍ عن النبي صلى الله عليه وسلم: "إن بين يدي الساعة تسليم الخاصة، وفشوَّ التجارة حتى تعين المرأة زوجها على التجارة، وقطع الأرحام، وشهادة الزور، وكتمان شهادة الحق، وظهور القلم".

وروى الإمام أحمد والحاكم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا تقوم السَّاعة حتى يظهر الفحش، والتفاحش، وقطيعة الرحم، وسوء المجاورة".

وفي مسند أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يكون قوم يخضبون في آخر الزمان بالسواد؛ كحواصل الحمام، لا يريحون رائحة الجنة".

وروى الطبراني عن معاوية رضي الله عنه؛ قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "لا يزداد الأمر إلا شدةً، ولا يزداد الناس إلا شحًا".

وعن ابن مسعودٍ رضي الله عنه؛ قال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول: "إن من أشراط السَّاعة أن يمر الرجل بالمسجد؛ لا يصلي فيه ركعتين ."

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يخرج في هذه الأمة في آخر الزمان رجالٌ معهم أسياطٌ كأنها أذناب البقر يغدون في سخط الله ويروحون في غضبه" .

وقد شهدت الأرض في بعض زواياها من شدة البؤس على معظم الناس ما قاله عليه الصلاة والسلام: "ولا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل يقول :يا ليتني مكانه" متفقٌ عليه.

ثم لنتأمل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لَا تَقُومُ السَّاعةُ حَتَّى يَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، فَتَكُونُ السَّنَةُ كَالشَّهْرِ، وَالشَّهْرُ كَالْجُمُعَةِ، وَتَكُونُ الْجُمُعَةُ كَالْيَوْمِ، وَيَكُونُ الْيَوْمُ كَالسَّاعَةِ، وَتَكُونُ السَّاعَةُ كَالضَّرَمَةِ بِالنَّارِ" .

وهذه نعيشها جميعًا.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:"لا تقوم السَّاعة حتى تظهر الفتن، ويكثر الكذب، وتتقارب الأسواق".

ولعل تقارب الأسواق لكثرة انتشارها وتطور وسائل النقل وكذلك الشراء عن طريق النت.

"ولا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد"رواه أبو داود وابن ماجة عن أنس رضي الله عنه.

"ولا تقوم الساعة حتى تمتلئ الأرض ظلماً وعدوانًا" ومن لم يشهده بعد !و"لا تقوم الساعة حتى يسود كل قبيلةٍ منافقوها" ولا زال صيت المنافقين ينتشر ويُروج لهم، ويقول عليه الصلاة والسلام : "سيكون قومٌ يأكلون بألسنتهم "، وإي نعم قد شهدنا هذا الحديث بوضوح اليوم، "يكون في آخر الزمان رجال يختلون الدنيا بالدين" كما رواه الترمذي عن أبي هريرة.

ومع هذه الأشراط المؤسفة يظهر معها علامةٌ مبشرةٌ يعرفها الصالحون في الأمة، وهي صدق رؤيا المؤمن في آخر الزمان، وكلما كان المرء صادقًا في إيمانه، كانت رؤياه صادقة، ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا اقترب الزمان؛ لم تكد رؤيا المسلم تكذب، وأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثًا، ورؤيا المسلم جزءٌ من خمسٍ وأربعين جزءًا من النبوة" .رواه مسلم.

كان هذا جمعًا لأبرز علامات الساعة الصغرى التي نعيشها في واقعنا المعاصر، ولم يبق لنا إلا الحديث حول ما ينتظرنا من أشراطٍ صغرى معدودةٍ وكبرى معلومةٍ لم تتحقق بعد وفي تدبرها عبرٌ وبصائر.

مع اشتعال أرض الشام «موطن الملاحم» هذه هي العلامات الصغرى التي توشك أن تتحقق!

بعد أن بسطنا أهم أشراط الساعة الصغرى التي انقضت والتي قد تتكرر، وكنا قبلها قد تحدثنا عن المرحلة التي تعيشها أمتنا المسلمة في محور زمن نهاية العالم. ثم سلطنا الضوء على علاماتٍ نعيشها واقعًا عيانًا في وقتنا الحاضر، حان الوقت للحديث عن العلامات الصغرى التي توشك أن تتحقق.

لا شك أن هناك علاماتٍ صغرى للساعة لم تظهر بعد، إلا أن الوضع الذي تعيشه الأمة باشتعال أرض الشام التي هي موطن الملاحم يوحي بقرب آخر أشراط الساعة التي تختص بهذه الأرض المباركة، ومن هنا نذكّر بالعلامات الصغرى التي توشك أن تتحقق...

بين الروم والمسلمين

في حديث عوف بن مالكٍ رضي الله عنه الذي أخرجه البخاري، قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك وهو في قبةٍ من أَدَمٍ فقال: "اُعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ :مَوْتِي، ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، ثُمَّ مُوتَانٌ يَأْخُذُ فِيكُمْ كَقُعَاصِ الْغَنَمِ، ثُمَّ اسْتِفَاضَةُ الْمَالِ حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِئَةَ دِينَارٍ فَيَظَلُّ سَاخِطًا، ثُمَّ فِتْنَةٌ لَا يَبْقَى بَيْتٌ مِنَ الْعَرَبِ إِلَّا دَخَلَتْهُ، ثُمَّ هُدْنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الْأَصْفَرِ فَيَغْدِرُونَ، فَيَأْتُونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً، تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا".

وخرّجه الطبراني في معجمه الكبير بمعناه، وزاد بعد قوله صلى الله عليه وسلم: " اثنا عشر ألفًا، فسطاط المسلمين يومئذٍ في أرضٍ يقال لها الغوطة في مدينة يقال لها دمشق".

وأخرج أبو داوود عن ذي مخمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: "سَتُصَالِحُونَ الرُّومَ صُلْحًا آمِنًا، فَتَغْزُونَ أَنْتُمْ وَهُمْ عَدُوًّا مِنْ وَرَائِكُمْ، فَتُنْصَرُونَ، وَتَغْنَمُونَ، وَتَسْلَمُونَ، ثُمَّ تَرْجِعُونَ حَتَّى تَنْزِلُوا بِمَرْجٍ ذِي تُلُولٍ، فَيَرْفَعُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ النَّصْرَانِيَّةِ الصَّلِيبَ فَيَقُولُ: غَلَبَ الصَّلِيبُ، فَيَغْضَبُ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَيَدُقُّهُ، فَعِنْدَ ذَلِكَ تَغْدِرُ الرُّومُ، وَتَجْمَعُ لِلْمَلْحَمَةِ" .صححه الشيخ الألباني

وهذه آخر علامةٍ صغرى يأتي في أعقابها وعلى إثرها الملاحم الأخيرة.

عمران بيت المقدس

ويراد به نزول الخلافة فيه في آخر الزمان. ويدل عليه ما رواه أبو داود عن عبد الله بن حَوَالة الأزدي، قال: بعثنا رسول الله صلى الله عليه و سلم لنغنم على أقدامنا فرجعنا، فلم نغنم شيئًا، وعرف الجهد في وجوهنا، فقام فينا فقال: "اللهم لا تكلهم إليّ فأضعف عنهم، ولا تكلهم إلى أنفسهم فيعجزوا عنها، ولا تكلهم إلى الناس فيستأثروا عليهم" ثم وضع يده على رأسي أو قال :على هامتي، ثم قال :"يا ابن حوالة، إذا رأيت الخلافة قد نزلت أرض المقدسة فقد دنت الزلازل والارتباك والتشويش والفوضى والأمور العظام، والساعة يومئذٍ أقرب من الناس من يدي هذه من رأسك" .وصححه الألباني في صحيح أبي داود.

خراب يثرب

وقال ابن كثير عن هذه العلامة في "النهاية":"وليس المراد أن المدينة تخرب بالكلية قبل خروج الدجال، وإنما ذلك آخر الزمان، بل تكون عمارة بيت المقدس سببًا في خراب المدينة النبوية، فإنه قد ثبت في الأحاديث الصحيحة أن الدجال لا يقدر على دخولها، يُمنع من ذلك بما على أبوابها من الملائكة القائمين بأيديهم السيوف المسلطة".

فتح القسطنطينية

فتح القسطنطينية (إسطنبول) وهذه بعد الملحمة الكبرى.

عودة جزيرة العرب جناتٍ وأنهارًا

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تقوم الساعة حتى يكثر المال ويفيض حتى يخرج الرجل بزكاة ماله، فلا يجد أحدًا يقبلها منه وحتى تعود أرض العرب مروجًا وأنهارًا" .رواه مسلم.

انتفاخ الأهلة

فعن أنسٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: "من اقتراب الساعة أن يُرى الهلال قبلًا فيقال: لليلتين، وأن تتخذ المساجد طرقًا" رواه الطبراني وحسنه الألباني، وقد شهدناها في بعض الأشهر كما كان في شهر رمضان من عام 1438 للهجرة.

تكليم السباع والجماد الإنس

روى الإمام أحمد في مسنده عن أبي سعيد الخدري، قال: عدا الذئب على شاةٍ فأخذها فطلبه الراعي فانتزعها منه فأقعى الذئب على ذنبه، قال: ألا تتقي الله تنزع مني رزقًا ساقه الله إلي، فقال: يا عجبي ذئبٌ مُقعٍ على ذنبه يكلمني كلام الإنس! فقال الذئب: ألا أخبرك بأعجب من ذلك محمدٌ صلى الله عليه وسلم بيثرب يخبر الناس بأنباء ما قد سبق، قال: فأقبل الراعي يسوق غنمه حتى دخل المدينة فزواها إلى زاوية من زواياها ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره.

فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنودي الصلاة جامعة ثم خرج فقال للراعي: "أخبرهم"، فأخبرهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "صدق والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى يكلم السباع الإنس ويكلم الرجل عذبة سوطه وشراك نعله ويخبره فخذه بما أحدث أهله بعده" رواه أحمد.

انحسار الفرات عن جبل من ذهب

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يوشك الفرات أن يحسر عن كنز من ذهب فمن حضره فلا يأخذ منه شيئًا". وفي روايةٍ عند مسلم: "لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب يقتتل الناس عليه فيقتل من كل مئةٍ تسعةٌ وتسعون ويقول كل رجلٍ منهم لعلي أكون أنا الذي أنجو".

إخراج الأرض كنوزها المخبوءة

روى مسلمٌ في صحيحه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "تقيء الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوان من الذهب والفضة، فيجيء القاتل فيقول في هذا قتلت ويجيء القاطع، فيقول في هذا قطعت رحمي، ويجيء السارق، فيقول في هذا قطعت يدي ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئًا".

محاصرة المسلمين إلى المدينة

من أشراط الساعة أن يُهزم المسلمون، ويحيط بهم أعداؤهم ويحاصروهم في المدينة المنورة. فعن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يوشك المسلمون أن يحاصروا إلى المدينة حتى يكون أبعد مسالحهم سَلاح". رواه أبو داود و صححه الألباني ومسالحهم يعني ثغورهم، والمراد أبعد مواضع المخافة من العدو. وسَلاح، موضعٌ قريبٌ من خيبر.

خسف البصرة

أخرج أبو داود في "سننه" في كتاب الملاحم عن أنس بن مالكٍ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: "يا أنس !إن الناس يمصِّرون أمصارًا، وإن مصرًا منها يقال لها البصرة أو البصيرة، فإن مررت بها، أو دخلتها، فإياك وسباخها وكلاءها وسوقها وباب أمرائها، وعليك بضواحيها فإنه يكون بها خسفٌ، وقذفٌ، ورجفٌ، وقومٌ يبيتون يصبحون قردةً وخنازير" .والحديث في الجامع الصحيح.

كثرة النساء مقارنةً بالرجال

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن من أشراط الساعة أن يقل العلم ويظهر الجهل والزنا وشرب الخمر وتقل الرجال وتكثر النساء حتى يكون لخمسين امرأةً القيمُ الواحد".

جفاف بحيرة طبرية

وهذه دلالةٌ على قرب خروج الدجال.

ظهور " الجهجاه " الملك

والجهجاه رجلٌ من قحطان سيصير إليه الملك، وهو شديد القوة والبطش، ففي الصحيحين عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم: "لا تقوم الساعة حتى يخرج رجلٌ من قحطان يسوق الناس بعصاه" رواه البخاري ومسلم.

وفي روايةٍ لمسلم: "لا تذهب الأيام والليالي حتى يملك رجلٌ يقال له) الجهجاه." (ويحتمل أن يكون هذا الذي في الرواية الأخيرة غير الأول. والمراد بكونه يسوق الناس بعصاه أنه يغلب الناس فينقادون له ويطيعونه، والتعبير بالسَّوق بالعصا للدلالة على غلظته وشدته، وأصل الجهجاه الصياح، وهي صفةٌ تلائم العصا كما يقول ابن حجر، ولم يأتِ بيانٌ من الرسول صلى الله عليه وسلم ليوضح إن كان سيسوق الناس إلى الخير أم الشر.

فتنة الأحلاس وفتنة الدهماء, وفتنة الدهيماء

عن عبد الله بن عمر قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قعودًا فذكر الفتن فأكثر ذكرها حتى ذكر فتنة الأحلاس، فقال قائل: يا رسول الله وما فتنة الأحلاس؟ قال: "هي فتنة هربٍ وحرب، ثم فتنة السراء، دخلها-أو: دخنها-من تحت قدمي، رجلٌ من أهل بيتي يزعم أنه مني وليس مني إنما وليي المتقون ثم يصطلح الناس على رجل كورك على ضلع، ثم فتنة الدهيماء لا تدع أحدًا من هذه الأمة إلا

لطمته لطمةً فإذا قيل انقطعت تمادت يصبح الرجل فيها مؤمنًا ويمسي كافرًا حتى يصير الناس إلى فسطاطين فسطاط إيمانٍ لا نفاق فيه وفسطاط نفاقٍ لا إيمان فيه إذا كان ذاكم فانتظروا الدجال من اليوم أو غد" – رواه أبو داود وأحمد وصححه الألباني.

اقتتالٌ بين يدي الساعة

أخرج ابن ماجة عن ثوبان قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: "يقتتل عند كنزكم ثلاثةٌ كلهم ابن خليفة ثم لا يصير إلى واحدٍ منهم ثم تطلع الرايات السود من قبل المشرق فيقتلونكم قتلًا لم يقتله قوم، ثمَّ ذَكرَ شيئًا لاَ أحفظُهُ فقالَ... فإذا رأيتموه فبايعوه ولو حبوًا على الثلج، فإنه خليفة الله المهدي ".

وأخرجه الحاكم وقال حديثٌ صحيحٌ على شرط الشيخين ووافقه الذهبي وقال ابن كثيرٍ هذا إسنادٌ قويٌّ صحيح، وقد صححه الشيخ الألباني بغير لفظ خليفة الله المهدي. والمراد بالكنز هو كنز الكعبة. قاله ابن كثير.

خروج المهدي

ثبت في الأحاديث الصحيحة أن الله سبحانه يبعث في آخر الزمان خليفةً يكون حكمًا عدلًا، يلي أمر هذه الأمة من آل بيت الرسول صلى الله عليه و سلم وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجلٌ من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي". رواه الترمذي وأبو داود، وفي رواية لأبي داود قال: "لو لم يبق من الدنيا إلا يومٌ لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلًا مني- أو :من أهل بيتي -يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي يملأ الأرض قسطًا وعدلًا كما ملئت ظلمًا وجورًا".

غزو جيش من المسلمين الكعبة والخسف بهم

عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يغزو جيشٌ الكعبة فإذا كانوا ببيداء من الأرض يخسف بأولهم وآخرهم". قالت: يا رسول الله، كيف يخسف بأولهم وآخرهم وفيهم أسواقهم، ومن ليس منهم؟ قال: "يخسف بأولهم وآخرهم ثم يبعثون على نياتهم" .متفق عليه.

الملحمة الكبرى

أخرج مسلمٌ في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: "لا تقوم الساعة حتى تنزل الروم بالأعماق أو دابق، فيخرج إليهم جيشٌ من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذٍ فإذا تصافوا قالت الروم خلوا بيننا وبين الذين سَبَوا منا نقاتلهم، فيقول المسلمون لا والله لا

نخلي بينكم وبين إخواننا، فيقاتلونهم فينهزم ثلثٌ لا يتوب الله عليهم أبدًا، ويقتل ثلثٌ أفضل الشهداء عند الله، ويفتح ثلثٌ لا يفتنون أبدًا فيفتتحون القسطنطينية، فبينما هم يقتسمون الغنائم قد علقوا سيوفهم بالزيتون، إذ صاح فيهم الشيطان، إن المسيح قد خلفكم في أهليكم، فيخرجون وذلك باطلٌ، فإذا جاؤوا الشام خرج، فبينما هم يعدّون للقتال يسوون الصفوف إذ أقيمت الصلاة فينزل عيسى بن مريم فأمهم (أي القتال (فإذا رآه عدوّ الله ذاب كما يذوب الملح فلو تركه لذاب حتى يهلك، ولكن يقتله الله بيده فيريهم دمه في حربته".

فتوحات عظيمة

أخرج مسلمٌ عن نافع بن عتبة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "تغزون جزيرة العرب فيفتحها الله، ثم فارس فيفتحها الله، ثم تغزون الروم فيفتحها الله ثم تغزون الدجال فيفتحه الله."

الترتيب الزمني

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري:" ولابن ماجة من حديث معاذ بن جبل مرفوعًا :"الملحمة الكبرى وفتح القسطنطينية وخروج الدجال في سبعة أشهر".

وله من حديث عبد الله بن بسر رفعه: "بين الملحمة وفتح المدينة ست سنين ويخرج الدجال في السابعة" وإسناده أصح من إسناد حديث معاذ.

وروى معاذ بن جبل-رضي الله عنه-قال :قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم -"عمران بيت المقدس خراب يثرب وخراب يثرب خروج الملحمة وخروج الملحمة فتح قسطنطينية وفتح قسطنطينية خروج الدجال". ثم ضرب بيده على فخذ الذي حدثه أو منكبه ثم قال: "إن هذا لحقٌ كما أنك هاهنا أو كما أنك قاعدٌ يعني معاذ بن جبل" –رواه أبو داود في الملاحم وصححه الألباني.

وهناك أشراطٌ تتخلل الأشراط الكبرى ولكن تأملوا قرب خروج الدجال!

الملحمة الكبرى وخروج المهدي: قصة أحداثٍ عظامٍ تنتظر الأرض ويضطرب لها البشر

بعد أن بسطنا أهم أشراط الساعة الصغرى التي انقضت والتي قد تتكرر، وكنا قبلها قد تحدثنا عن الزمان الذي تعيشه أمتنا المسلمة في محور زمن نهاية العالم. ثم سلطنا الضوء على علاماتٍ نعيشها واقعًا عيانًا في وقتنا الحاضر، ومررنا على العلامات الصغرى التي توشك أن تتحقق وذكرنا منها المهدي والملحمة الكبرى، كان لا بد من الحديث عن أشراط الساعة الكبرى.

الملحمة الكبرى وخروج المهدي

أشراط الساعة الكبرى أحداثٌ عظامٌ تنتظر هذه الأرض يضطرب لها البشر، فأما عن بدايتها، فلابد أن نذكّر بآخر أشراط الساعة الصغرى وقوعًا ألا وهما الملحمة الكبرى وخروج المهدي واللتان تلتقيان مع خروج الدجال ونزول عيسى عليه السلام وهما من أشراط الساعة الكبرى...

كما تتابع الخرز في النظام

روى الإمام مسلمٌ عن حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه؛ قال: اطلع النبي صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر، فقال: "ما تذاكرون"؟ قالوا :نذكر السَّاعة .قال: "إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات"، فذكر :الدُّخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى بن مريم عليه السلام، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسفٌ بالمشرق، وخسفٌ بالمغرب، وخسفٌ بجزيرة العرب، وآخر ذلك نارٌ تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم".

ولا شك أن هذا الحديث يسرد الأشراط دون ترتيبٍ ملزمٍ حسب ما أكد العلماء ولهذا وقع الاختلاف في ترتيب بعض هذه الأشراط، إلا أن المتفق عليه هو أن ظهور أول علامات السَّاعة الكبرى؛ يعني تتابع الآيات كتتابع الخرز في النظام، يتبع بعضها بعضًا كما روى الطبراني في "الأوسط"عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم؛ قال :"خروج الآيات بعضها على إثر بعض، يتتابعن كما تتابع الخرز في النظام".

أول العلامات الكبرى بعد المهدي

وفي زمنٍ متقارب؛ فإن أول العلامات الكبرى بعد المهدي ظهور الدجال، ثم نزول عيسى عليه السلام لموته، ثم ظهور يأجوج ومأجوج، ودعاء عيسى عليه السلام عليهم، فيهلكهم الله، قال عيسى عليه السلام: "ففيما عهد إلي ربي أن ذلك كذلك؛ فإن السَّاعة كالحامل المتم التي لا يدري أهلها متى تفجؤهم بولادها ليلًا أو نهارًا" .مسند الإمام أحمد من حديث ابن مسعود وإسناده صحيح.

وهذا دليلٌ على قرب السَّاعة قربًا شديدًا؛ فإن بين موت عيسى عليه السلام وقيام السَّاعة شيئًا من العلامات الكبرى؛ كطلوع الشمس من مغربها، وظهور الدابة، والدُّخان الذي اختُلف في ترتيبه، وخروج النار التي تحشر الناس، فهذه العلامات تقع في وقتٍ قصيرٍ جدًا قبل قيام السَّاعة؛ مثلها كمثل العقد الذي انفرط نظامه، والله أعلم. قال الحافظ ابن حجر: "وقد ثبت أن الآيات العظام مثل السلك، إذا انقطع؛ تناثر الخرز بسرعة، وهو عند أحمد".

علامات الساعة الكبرى

١- الدخان

قال الله تعالى: ﴿ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾ وقد اختلف العلماء في ترتيب الدخان بين أشراط الساعة الكبرى إلا أن الأرجح أن يكون أولاها، فمن تدبر سورة الدخان التي وردت فيها هذه الآية سيجد أن سورة الدخان هي الإحاطة الكاملة للدجال، وكون الخبيئة التي خبأها رسول الله صلى الله عليه و سلم لابن الصياد كانت هذه الآية تحديدًا. فتكون الخبيئة أ سا سًا في تفسير سورة الدخان، وقد بسط في هذا الاستنباط القيّم الشيخ رفاعي سرور ما يكفي لتفنيد رأي ترتيب الدخان قبيل خروج الدجال فهو السر وراء الخبيئة التي خبأها رسول الله صلى الله عليه و سلم لابن الصياد الذي كان يُشك في كونه الدجال. وبهذا تلازم ذكر الدخان مع الدجال ليكون ظهور الأول نذيرًا لخروج الثاني. والله أعلم. وقد رجح هذا الترتيب جمعٌ من العلماء.

٢- الدجال

على إثر الملاحم وخروج المهدي مباشرة يخرج الدجال من جهة المشرق؛ من خراسان من يهودية أصبهان، ثم يسير في الأرض، فلا يترك بلدًا إلا دخله؛ إلا مكة والمدينة، فلا يستطيع دخولهما؛ لأن الملائكة تحرسهما. وأكثر أتباع الدجال من اليهود والعجم والترك، وأخلاطٍ من الناس، غالبهم الأعراب والنساء.

وفتنة الدجال أعظم الفتن منذ خلق الله آدم إلى قيام السَّـــاعة، وذلك بســـبب ما يخلق الله معه من الخوارق العظيمة التي تبهر العقول، وتحير الألباب. فقد ورد أن معه جنةً ونارًا، وجنته نار، وناره جنة، وأن معه أنهار الماء، وجبال الخبز، ويأمر الســماء أن تمطر فتمطر، والأرض أن تنبت فتنبت، وتتبعه كنوز الأرض، ويقطع الأرض بسرعة عظيمة؛ كسرعة الغيث استدبرته الريح ...إلى غير ذلك من الخوارق.

ولمسلم أيضًا عن حذيفة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: "لأنا أعلم بما مع الدَّجَّال منه، معه نهران يجريان، أحدهما رأي العين ماءٌ أبيض، والآخر رأي العين نارٌ تأجج، فإما أدركن أحد؛ فليأت النهر الذي يراه نارًا، وليغمض، ثم ليطأطئ رأسه، فيشرب منه؛ فإنه ماءٌ بارد".

وجاء في حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه في ذكر الدَّجَّال أن الصحابة قالوا: يا رسول الله! وما لبثه في الأرض؟ قال: "أربعون يومًا: يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم".

قالوا: وما إســراعه في الأرض؟ قال: "كالغيث إذا اســتدبرته الريح". "فيأتي على القوم، فيدعوهم، فيؤمنون به، ويســتجيبون له، فيأمر الســماء فتمطر، والأرض فتنبت، فتروح عليهم ســارحتهم) أي ماشيتهم (أطول ما كانت ذرًا (الأعالي والأسمنة)، وأسبغه ضروعًا (لكثرة اللبن)، وأمده خواصر، ثم يأتي القوم، فيدعوهم، فيردون عليه قوله، فينصــرف عنهم، فيصــبحون ممحلين ليس بأيديهم شــيءٌ من أموالهم، ويمر بالخربة، فيقول لها: أخرجي كنوزك، فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل، ثم يدعو رجلًا ممتلئًا شبابًا، فيضربه بالسيف، فيقطعه جزلتين رمية الغرض، ثم يدعوه، فيقبل ويتهلل وجهه يضحك"صحيح مسلم.

وجاء في رواية البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن هذا الرجل الذي يقتله الدَّجَّال من خيار الناس، أو خير الناس؛ يخرج إلى الدَّجَّال من مدينة رسول الله صلى الله عليه و سلم، فيقول للدجال: " أشـهد أنك الدَّجَّال الذي حدثنا رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم حديثه .فيقول الدَّجَّال :أرأيتم إن قتلت هذا ثم أحييته؛ هل تشـكون في الأمر؟ فيقولون :لا .فيقتله، ثم يحييه، فيقول) أي :الرجل :("والله ما كنت فيك أشد بصيرةً مني اليوم"، فيريد الدَّجَّال أن يقتله، فلا يُسلط عليه".

٣- نزول عيسى عليه السلام

بعد خروج المهدي وكذلك خروج الدَّجَّال وإفساده في الأرض، يبعث الله عيسى عليه السلام، فينزل إلى الأرض، ويكون نزوله عند المنارة البيضاء شرقي دمشق الشام، وعليه مهرودتان: ثوبان مصبوغان بورس ثم زعفران، وا ضع كفيه على أجنحة ملَكين، إذا طأطأ رأ سه قطر، وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ، ولا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه.

ويكون نزوله على الطائفة المنصورة، التي تقاتل على الحق، وتكون مجتمعة لقتال الدَّجَّال، فينزل وقت إقامة الصلاة، يصلي خلف أمير تلك الطائفة وهو المهدي فيقول له إمام المسلمين: يا روح الله! تقدم. فيقول: تقدم أنت؛ فإنه أقيمت لك. وفي رواية: بعضكم على بعض أمراء؛ تكرمة الله هذه الأمة. صحيح مسلم.

وقد ذكر ابن كثير أن في زمنه سنة إحدى وأربعين وسبع مئة "جدَّد المسلمون منارةً من حجارةٍ بيض، وكان بناؤها من أموال النصارى الذين حرقوا المنارة التي كانت مكانها، ولعل هذا يكون من دلائل النبوة الظاهرة، حيث قيض الله بناء هذه المنارة من أموال النصارى، لينزل عيسى بن مريم عليها، فيقتل الخنزير، ويكسر الصليب، ولا يقبل منهم جزية، ولكن من أسلم وإلا قتل، وكذلك غيرهم من الكفار. ويطلب عيسى الدجال حتى يدركه بباب لد، فيقتله، ثم يأتي عيسى بن مريم قومٌ قد عصمهم الله منه، فيمسح وجوههم، ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة".

وزمن عيسى عليه السلام زمن أمنٍ وسلامٍ ورخاء، يرسل الله فيه المطر الغزير، وتخرج الأرض ثمرتها وبركتها، يفيض المال، وتذهب الشحناء والتباغض والتحاسد. وأما مدة بقائه في الأرض بعد نزوله؛ ففي رواية الإمام مسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: "فيبعث الله عيسى بن مريم ...ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة، ثم يرسل الله ريحًا باردة من قبل الشام، فلا يبقى على وجه الأرض أحدٌ في قلبه مثقال ذرةٍ من خيرٍ أو إيمانٍ إلا قبضته" صحيح مسلم.

٤- يأجوج ومأجوج

عن عبد الله بن عمرو عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أن: "يأجوج ومأجوج من ولد آدم، وأنهم لو أُرسِلوا إلى الناس؛ لأفسدوا عليهم معايشهم، ولن يموت منهم أحد؛ إلا ترك من ذريته ألفًا فصاعدًا". أما صفتهم التي جاءت بها الأحاديث؛ فهي أنهم يُشبِهون أبناء جنسهم من التُّرك الغتم المغول، صغار العيون، ذلف الأنوف، صهب الشعور، عراض الوجوه، كأن وجوههم المَجانُّ المُطرَقة، على أشكال الترك وألوانهم وفي حديث النواس بن سمعان أن الله تعالى يوحي إلى عيسى عليه السلام بخروج يأجوج ومأجوج، وأنه لا يدان لأحد بقتالهم، ويأمره بإبعاد المؤمنين من طريقهم، فيقول له: "حرز عبادي إلى الطور".

0- الخسوفات

وهي ثلاثة عظيمة: جاء ذكرها في الأحاديث ضمن العلامات الكبرى. عن حذيفة بن أسيد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: "إن السَّاعة لن تقوم حتى ترون عشر آيات) ...فذكر منها :(وثلاثة خسوف :خسفٌ بالمشرق، وخسفٌ بالمغرب، وخسفٌ بجزيرة العرب".

٦- طُلوعُ الشَّمسِ من مغرِبِها

قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾. وقال صلى الله عليه وسلم:"لا تنقطع الهجرة ما تُقُبِّلت التوبة، ولا تزال التوبة مقبولةً حتى تطلع الشمس من المغرب، فإذا طلعت؛ طُبِعَ على كل قلبٍ بما فيه، وكفي الناس العمل" وطلوع الشمس من مغربها ليس هو قيام السَّاعة، بل يكون بعدها شيءٌ من أمور الدُّنيا؛ كالبيع، والشراء، ونحوه.

٧- الدَّابَّة

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لا يُوقِنُونَ﴾.

واختلفت الأقوال في تعيين مكان خروج الدَّابَّة والأرجح أنها تخرج من مكة المكرَّمة من أعظم المساجد. فإذا خرجت هذه الدَّابَّة العظيمة؛ فإنها تَسِمُ المؤمن والكافر. فأما المؤمن؛ فإنها تجلو وجهه حتى يشرق، ويكون ذلك علامةً على إيمانه. وأما الكافر؛ فإنها تخطمه على أنفه؛ علامةً على كفره والعياذ بالله.

٨- النار التي تحشر الناس

وهي نارٌ عظيمةٌ تخرج، وهي آخر أشراط السَّاعة الكبرى، وأول الآيات المؤذنة بقيام السَّاعة. جاءت الروايات بأن خروج هذه النار يكون من اليمن، من قعر عدن، وتخرج من بحر حضرموت؛ كما جاء في روايات أخرى. جاء في حديث حذيفة بن أسيد في ذكر أشراط السَّاعة الكبرى قوله صلى الله عليه وسلم: "وآخر ذلك نارٌ تخرج من اليمن، تطرد الناس إلى محشرهم" .رواه مسلم.

٩- وأما أرض المحشر

فيُحشر الناس إلى الشام في آخر الزمان، كما جاءت بذلك الأحاديث الصحيحة: منها ما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما في ذكر خروج النار، وفيه: قال: قلنا: يا رسول الله! فماذا تأمرنا؟ قال: "عليكم بالشام" رواه أحمد والترمذي

وروى الإمام أحمد وأبو داود عن عبد الله بن عمرو؛ قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: "ستكون هجرةٌ بعد هجرة ينحاز الناس إلى مهاجر إبراهيم، لا يبقى في الأرض إلا شرار أهلها، تلفظهم

أرضوهم، تقذرُهم نفْسُ الله، تحشرهم النار مع القردة والخنازير، تبيت معهم إذا باتوا، وتقيل معهم إذا قالوا، وتأكل من تخلَّف".

وبهذا تكون آخر أشراط السَّاعة الكبرى خروج النار التى تحشر الناس إلى الشام، وهذا الحشر يكون فى الدُّنيا قبل يوم القيامة. ولا تقوم السَّاعة إلا على شرار الناس.

وخلاصة القول

فإن ارتفاع راية الجهاد في الشام، منذرٌ باقتراب الملاحم، وانشغال العالم الكافر كله اليوم بحرب الشام يؤكد أن المواجهة ستكون مصيرية وكما نبأنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويكفي أن تحتدم الملاحم ليخرج المهدي يومًا ما على غفلةٍ منا لِنتفاجأ بالدجال على أبوابنا، وتتدافع على إثره الأشراط الكبرى في زمنٍ قصير ولا يمكن حينها التسويف أو الغفلة فساعة الحساب ويوم القيامة العظيم سيحل في أية لحظة.

فأيها الناس إنه وعدٌ حقٌ وما من شَرَط نبأنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم وحان وقته إلا تحقق وثبت، فلتتعلموا هذه الأحاديث كتعلمكم فروض دينكم فإنما هي أيامٌ تمضي وتنقرض وإنه لأكيدٌ أننا على أبواب التحولات الكبرى، فماذا أعددنا لها؟!.

الملحمة الكبرى: صفحةٌ موثّقةٌ من أحداث الغد

حين أتأمل درجة استماتة الدول الكبرى لحفظ بلاد الشام تحت هيمنة النظام الدولي، وتآمر القوى الغربية لوأد الثورة السورية وإخضاعها للطاغية النصيري مرةً أخرى وكذا إجهاض أي صعود إسلامي في المنطقة برمتها، يتبادر إلى ذهني بانسياب أحاديث آخر الزمان وبشريات نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، التي حدثنا فيها عن الملحمة الكبرى وانتصار المسلمين على أهل الكفر!

إذ أن الملحمة الكبرى بحسب الحديث الصحيح الذي رواه مسلم، ستكون في أرض دابق، بالقرب من حلب، في حين تجتمع جيوش المسلمين وتعسكر في الغوطة بالقرب من دمشق حيث ستُعِدُّ العدة وتجمع جمعًا لمواجهة جيوش الصليب الغازية.

ومع أن هذا الخبر أكيد بنبأ النبّي الكريم صلى الله عليه وسلم وسيقع بالتحديد في هذه الرقعة من الأرض إلا أننا بعرض تفاصيله لا نقصد دفع المسلمين للكسل والاتكال والرضى بحالهم المستضعف في انتظار ذلك الموعد المبين، إنما نحاول لفت الانتباه لأهمية هذه البلاد في مستقبل أمة الإسلام، كما أراد الله لها ذلك، ولننير قلوب المحبطين بقوة اليقين، فيدركون بأن الصراع على أرض الشام سيستمر إلى يوم القيامة، وأن هذه الأرض ستكون ميدان العز والانتصار المؤزر في معركة الحق مع الباطل فلا يستكينون لطاغية ولا يستسلمون لمكر داهية. بل يقبلون على الإعداد والجمع، فإنما هو آتٍ أعظم مما فات ولن تكون الملحمة الكبرى إلا تاج سلسلة من المعارك التي تسبقها عبر محور الزمن.

ثم لْيَستبشر المؤمنون أنه مهما طال ليل الظالمين وتكالب المجرمون وتغلغلت خناجر الخيانة والغدر في خاصرة هذه الأمة، فإن المستقبل لهذا الدين بوعدٍ من الله حق.

ودعونا نلقي نظرة على هذه المحطة المصيرية التي تنتظرنا في آخر الزمان، وهي محطة الملحمة الكبرى، التي ستلتحم فيها الصفوف في قتالٍ عظيمٍ لم تشهد مثله الأرض بل ولمثل موعده تتجهز.

إنها الملحمة التي يؤمن بها المسلمون واليهود والنصارى معًا ولكن وفق روايات مختلفة. بل وتبعهم في ذلك البوذيون والزاردشتيون وملّلٌ أخرى برواياتٍ منسوجة بخيال المخلّص المنتظر.

جاء فيه حديثٌ صححه الألباني عن معاذ بن جبل. قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: "عمران بيت المقدس خراب يثرب، وخراب يثرب خروج الملحمة، وخروج الملحمة فتح قسطنطينية، وفتح قسطنطينية خروج الدجال".

ويقدم لنا هذا الحديث تقديرًا لزمان وقوع الملحمة والذي يظهر أنه سـيكون بعد قيام الخلافة في بيت المقدس، تلك الخلافة التي وعد الله المسـلمين على منهج النبوة الصـافي، يعلو بها شـأنهم في الأرض وتعود لهم أمجاد حضـارتهم التليدة، و ذلك سـيغيظ الكافرين والغرب فيسـعون لإطفاء نورها ولكن الله سيخيّب سعيهم.

وقد اختلف العلماء في تقرير موعد قيام الخلافة الموعودة قبل خروج المهدي أو عند خروجه، ولكنهم اتفقوا على أن المهدي سيقود جيوش المسلمين في الملحمة وسيكون خليفة المسلمين في بيت المقدس وهذه بشرى أخرى في أن فلسطين ستتحرر قبل المعركة الكبرى، و ستقوم فيها نهضةٌ حضاريةٌ مبهرةٌ ولن يكون هذا بين يومٍ وليلة بل بكدٍّ وتضحيةٍ وصبر. ولهذا وجب الإعداد المستمر دون إحباط.

ويتزامن مع عمران بيت المقدس كعاصمة الخلافة في ذلك الزمان، خراب المدينة المنورة.

ولكن بحسب ابن كثير- رحمه الله - فليس المراد أن المدينة تخرب بالكلية قبل خروج الدجال، وإنما ذلك في آخر الزمان... بل تكون عمارة بيت المقدس سببًا في خراب المدينة المنورة

وقد علل البرزنجي سـبب هذا الخراب فقال: وسـبب خرابها والله أعلم أنهم يخرجون مع المهدي إلى الجهاد ثم ترجف المدينة بمنافقيها وترميهم إلى الدجال ثم يبقى فيها المؤمنون الخُلَّص فيهاجرون إلى بيت المقدس.

أى أنهم يخرجون طلبًا للجهاد مع إمام المسلمين المهدى فى الملحمة الكبرى، التى نبأنا بها رسول

الله صلى الله عليه وسلم، وهذا موطن مسابَقةٍ لا يفوت مؤمنًا فى ذلك الزمان.

وقد ورد وصفٌ مفصّل لهذه المعركة وموقعها في حديث أبي هريرة الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدابق فيخرج إليهم جيشٌ من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذٍ فإذا تصافوا قالت الروم: خلوا بيننا وبين الذين سَبَوا منا نقاتلهم، فيقول المسـلمون: لا والله لا نخلي بينكم وبين إخواننا، فيقاتلونهم فينهزم ثلثٌ لا يتوب الله عليهم أبدًا، ويقتل ثلثهم أفضـل الشـهداء عند الله، ويفتتح الثلث لا يفتنون أبدًا، فيفتتحون قسـطنطينية، فبينما هم يقتسمون الغنائم قد علقوا سيوفهم بالزيتون، إذ صاح فيهم الشيطان إن المسيح قد خلفكم في أهليكم فيخرجون ــ وذلك باطل ــ فإذا جاءوا الشأم خرج، فبينما هم يعدون للقتال يسوون الصفوف إذ أقيمت الصلاة فينزل عيسى ابن مريم صلى الله عليه و سلم فأمهم فإذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح في الماء فلو تركه لانذاب حتى يهلك ولكن يقتله الله بيده فيريهم دمه في حربته" .

ولهذا الحديث الصحيح معانٍ ودلالاتٌ عظيمةٌ ترسم مشهد معركةٍ كبرى ستجري رَحاها على أرض الشام، تتلاحم فيها جيوش المسلمين والكافرين في نهاية الزمان، و ستكون فيها الغلبة لمعسكر الإيمان بتأييدٍ من الله وفضل منه. ويبدو أن هذه المعركة ستأتي بعد سلسلةٍ من المعارك والملاحم، يأ سر فيها المسلمون من بني الأصفر ما شاء الله أن يكون ثم يسلم هؤلاء الأسرى على يد المسلمين، ولهذا يطالب الروم بقتال أصحابهم قبل انطلاق المعركة. إلا أن المسلم لا يسلم أخاه، فيرفض معكسر الإيمان حينها تسليمهم وتنطلق فصول الملحمة.

و سيقود جيش المسلمين يومئذٍ، إمامٌ مختار، بشرنا به رسول الله صلى الله عليه و سلم منذ بعثته، إنه المهدي، يوافق اسمه اسم نبينا واسمُ أبيه اسم أبي نبينا صلى الله عليه وسلم.

وفي حديث أبي الدرداء رضي الله عنه، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "يوم الملحمة الكبرى فسطاط المسلمين بأرضٍ يقال لها الغوطة فيها مدينةٌ يقال لها دمشق خير منازل المسلمين يومئذ"، يظهر واضحًا أن منطقة الغوطة القريبة من دمشق ستكون المكان الذي يعسكر فيه المسلمون ويتجمع فيه النافرون، يجهزون للملحمة الكبرى فيجمعون جمعًا لجيوش الصليب التي ستنزل في دابق بعد أن تجهزت بدورها واجتمعت تحت ثمانين رايةً تحت كل رايةٍ اثنا عشر ألفًا بحسب بعض الروايات.

وعليَّ أن أوضح أمرًا ذا بال في هذا المقام، هو أن الملحمة الكبرى تأتي بعد هدنةٍ وصلحٍ يكون مع الروم وقتال عدوٍّ ثالث، فعن جبير بن نُفير عن ذي مخمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "تصالحون الروم صلحًا آمنًا وتغزون أنتم وهم عدوًا من ورائهم فتسلمون وتغنمون ثم تنزلون بمرج ذي تُلول فيقوم إليه رجل من الروم فيرفع الصليب ويقول ألا غلب الصليب، فيقوم إليه رجلٌ من المسلمين فيقتله، فعند ذلك تغدر الروم وتكون الملاحم فيجتمعون إليكم فيأتونكم في ثمانين غاية مع كل غاية عشرة آلاف" .

وإذا جمعنا بين هذا الحديث وحديث مسلم في نزول جيوش الصليب في دابق، فإن الملحمة الكبرى ستكون بعد أن تُبرم هدنةٌ بين المسلمين والروم لمدة عشر سنوات، يقاتلون خلالها عدوًا ثالثًا لم تعينه النصوص بدقة، ولكن غدر الروم ونكثهم يكون بعد الانتصار على هذا العدو، وعند الاستراحة من القتال في مرج ذي تُلول من أرض لبنان بحسب الرزنجي وغيره، وما زالت الهدنة حينها في سنتها الثالثة أو الرابعة، ولكن استكبار الروم وعزوهم فضل النصر للصليب يوقد الغيرة في قلوب المسلمين يومئذٍ فيصيحون إنما النصر من عند الله، فتحصل مقتلة بين الفريقين وهذا ما سيشعل فتيل الملحمة الكبرى بعدها، حيث سيجمع أهل الصليب جيوشهم ويجمع المسلمون لهم ويجتمعون عند الغوطة من دمشق،

ثم يلتقي الجيشان في الملحمة الكبرى أو العظمى المنتظرة إن شاء الله. وإني أشدد على كلمة (الجمع) كدلالة على أهمية الإعداد لكلا الجيشين وهكذا يجب أن يكون الحال قبل كل معركة وسجال.

ثم تتوالى فصول المعركة كما في حديث مسلم، بالقتال على ثلاثة مراحل كما لخصها الحديث بوضوح، يكون الفوز في الثالثة لصالح المسلمين ثم لا يلبثون أن يحققوا البشارة الأخرى من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، فيفتحون القسطنطينية، ولكن بينما ينشغلون في تقاسم الغنائم، سيخرج الدجال.

العدو الثالث

وفيما يخص العدو الثالث الذي سيقاتله المسلمون مع الروم في حلفٍ واحد، خلال الهدنة المبرمة بين الطرفين، فرواية واحدة فقط وهي غير قوية، حددته بكونهم الترك وكرمان، وتسابقت الأذهان في تخمين من يكون القوم قياسًا على عصرنا اليوم، وذهب بعضهم إلى قول إنها الصين وإيران، حيث أن الترك هي بلاد تركستان والصين، بينما كرمان هي إقليم من فارس. ولكن أهل العلم لا يحبذون الجزم بمثل هذه الغيبيات ما دامت الأحاديث لم تحدد العدو بصفة حاسمة، والله أعلى وأعلم.

وبهذا بعد انتصار المسلمين في الملحمة وفتح القسطنطينية ستتتابع أشراط الساعة الكبرى تتابعًا سريعًا كتتابع الخرز في النظام إذا انفرط عقده، وينزل المسيح عيسى بن مريم عليه السلام فيقتل الدجال ويكسر الصليب ويرفع الجزية ويقتل الخنزير، ويصلي خلف المهدي، إمام المسلمين آنذاك، إكرامًا لأمة محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء. وبعدها ستحل أهوال يأجوج ومأجوج وما يلحقها من أشراطٍ كبرى لقصة فناء الأرض!

الملحمة في نظر اليهود والنصارى

ولا شك أن اليهود والنصارى يؤمنون إيمانًا جازمًا بهذه المعركة ولكنهم يسمونها باسمٍ آخر هو "معركة هرمجدون" وهي تعني (هر) بمعنى جبل و(مجدون) بمعنى سهلٍ أو وادٍ هو في فلسطين. وتتحدث بعض الكتب عن أن المكان المقصود يختلف عن الأعماق أو دابق القريبة من مدينة حلب في سوريا – إذ هو عند اليهود والنصارى مدينة مجدو التي تقع على بعد 40 كم من الغرب والجنوب الغربي من الطرف الجنوبي من بحيرة طبريا في منطقة نهر كيشون. وحسب وصفٍ آخرَ أكثرَ دقة، تقع مجدون في مرج ابن عامر، بالقرب من مدينة جنين شمال فلسطين. وعلى بعد ٥٥ ميلًا شمال تل أبيب و٢٠ ميلًا جنوب شرق حيفا وعلى بعد ١٥ ميلًا من شاطئ البحر المتوسط، وتحمل اليوم اسم تل المتسلم. وقد شهدت هذه الأرض حروبًا ضروسًا عبر محور التاريخ. ولا عجب أن يسعى اليهود لتكثيف زراعة شجر

الغرقد فيها، لأنهم يعتقدون كما نعتقد أنه سيحمي اليهود من المسلمين، كما بيّن النبي صلى الله عليه و سلم أنه إذا نزل عيسى بن مريم عليه السلام يُسلَّط المؤمنون على اليهود، فيقتلونهم قتلًا ذريعًا حتى يختبئ اليهود وراء الشجر والحجر، فيتكلم الشجر والحجر، وهذه من آيات الله، (فيقول الشجر والحجر: يا مسلم! هذا يهوديٌّ خلفي تعال فاقتله، إلا شجر الغرقد فلا يتكلم فإنه من شجر اليهود).

ولكن الرواية الهرمجدونية، تضع اليهود والنصارى في صف قوى الخير وتضع المسلمين في صف الشيطان بحسب زعمهم، إضافة إلى قوى الشر الأخرى التي كما تشير لها بعض رواياتهم يدخل فيها الصينيون والكوريون والفيتناميون واليابانيون وهم الذين يجمعونهم في وصف يأجوج ومأجوج.

وينتظر اليهود والنصارى هرمجدون على رأس الألفية، على عكس المسلمين الذين لم يحددوا لها تاريخًا بعينه لكنهم رتبوا ظهورها بحسب ترتيب أشراط الساعة.

وبحسب ما يوهمون أنفسهم، يعتقدون بأنهم سيجتمعون في مئتي مليون مقاتل و سيهزمون المسلمين وحلف الشيطان بتأييد الله لهم، ثم سينزل المسيح ويعيشون بسلام في الأرض بعيدًا عن قوى الشر التي ستذهب إلى جهنم بحسب ما يؤمنون. وهي في أعينهم المعركة الحاسمة والمصيرية الأخيرة التي تنهي الصراع على الأرض بين الخير والشر.

الاختلافات بين اليهود والنصارى

ولكن الاختلاف البيّن بين رواية اليهود ورواية النصارى لمعركة هرمجدون هي في حقيقة المسيح المنتظر، فالنصارى ينتظرون المسيح عيسى عليه السلام في حين ينتظر اليهود المسيح الدجال الأعور، ولكن كعادة اليهود في التدليس والمكر، يستغلون سذاجة النصارى ويوظفون إيمانهم بهرمجدون لصالح بناء دولتهم في فلسطين، ويشجعون إقبالهم على هذه الفكرة من طريق اللوبي اليهودي المتغلغل في مؤسسات الحكم الغربية، ذلك أن بعض النصارى يحبذ التسريع في تحقيق حلم هرمجدون لأجل عودة عيسى عليه السلام وهزيمة المسلمين، ويعتقد أن قيام دولة إسرائيل هي أول خطوة لتحقيق ذلك، ولكن النصارى لو تَفَكَّروا قليلًا لوجدوا أن اليهود لا يمكنهم أن ينتظروا المسيح الذي سعوا لقتله، والذي كفروه وافتروا عليه ولهذا سماهم الله سبحانه وتعالى بالمغضوب عليهم والنصارى بالضالين!

وللإمام ابن القيم كلامٌ قيّم في هذا الباب فقد قال رحمه الله مبينًا تلاعب الشيطان باليهود: " تلاعبه بهم: أنهم ينتظرون قائمًا من ولد داود النبي، إذا حرك شفتيه بالدعاء: مات جميع الأمم، وأن هذا المنتظر

بزعمهم هو المسيح الذي وُعدوا به! وهم في الحقيقة إنما ينتظرون مسيح الضلالة " الدجَّال "، فهم أكثر أتباعه، وإلا فمسيح الهدى عيسى بن مريم عليه السلام يقتلهم، ولا يُبقي منهم أحدًا.

والأمم الثلاث تنتظر منتظَرًا يخرج في آخر الزمان؛ فإنهم وُعدوا به في كل ملة، والمسلمون ينتظرون نزول المسيح عيسى ابن مريم من السماء، لكسر الصليب، وقتل الخنزير، وقتل أعدائه من اليهود، وعُبَّاده من النصارى، وينتظرون خروج المهدي من أهل بيت النبوة يملأ الأرض عدلًا كما ملئت جورًا." اهـ

ويبدو أن الأحداث ستنطلق سريعةً بعد الملحمة الكبرى بحسب ما جاء في عقد الدرر للشافعي رحمه الله: فعن معاذ بن جبل عن الرسول صلى الله عليه و سلم: (الملحمة العظمى وفتح قسطنطينية وخروج الدجال في سبعة أشهر).

وحين نتأمل تصريحات الساسة الأمريكيين في الإدارات المتعاقبة، كيف يتفاخرون بعقيدتهم الهرمجدونية، إذ سُجلت للعديد من رؤساء الولايات المتحدة، تصريحاتٌ تتطلع للمعركة بحماسةٍ واهتمام، كمثل الرئيس ريغن وجورج بوش ودونالد ترامب. نستطيع أن نفهم سبب تركيز الغرب على هذه البقعة من الأرض وإلى أين تتجه سياساتهم وإستراتيجياتهم مهما أظهرت العكس.

والمتأمل في كل ما سبق بسطه يتساءل ماذا على المسلمين أن يفعلوه في عصرنا الحاضر بينما ينتظرهم مواقفُ عظيمةٌ تشرّف أمتنا وتبعث التفاؤل وتطرد الاضطراب والوجل!

أقول يجب علينا أن نربي أنفسنا وأبناءنا تحت نور هذه البُشريات وقوة اليقين، لابد أن نبني رؤانا وتحركاتنا باتجاهٍ واحدٍ فقط، أن النصر مصير هذه الأمة مهما طال ليل الظالمين، ثم لأجل أن نكون أهلًا لتمثيل أمةٍ بمثل هذا التأييد وهذه العظمة علينا الالتزام بتعاليم ديننا، دونها الموت، لا نساوم عليها أبدًا، فإنما النجاة في التمسك بشريعة ربنا لا نقبل لها بدلًا، ومن أراد أن يبدل لنا ديننا، تصدَّينا لمَكرِهِ بكل ما أوتينا من قوة، فإنها قضية وجودٍ وقضية أمةٍ منتصرةٍ ماجدةٍ لا نرضى أن نكون إلا جنودًا لها. وها قد علمتم الخبر، فاشحذوا الهمم وأعدوا له العدة.

الخاتمة

إن تلخيص الفتن والملاحم، ليس الهدف منه تلبية فضول قارئ وتقديم معلومةٍ تضاف لرصيد معلوماته وكفى، بل هو ترياقٌ يغذي اليقين ويدفع بعجلة العطاء للمسابقة والاستدراك، يحوّل انسياب المعاني والكلمات إلى قوة في سبيل نصرة الحق والثبات عليه، تظهر آثارها على الجوارح وأفعال العباد مبهرةً متألقةً عند من صدق.

إنه وقودٌ من نوع آخر يحتاجه كل مسلم ومسلمة لمواصلة المسير على نور من الله يحدوه الشوق لموعد لن يتخلف عنه أحد، كيف لا وهو موعد الظفر المبين وخاتمة الصراع بين الحق والباطل، طوبى لمن حصّل سهمًا من سهام صناعته.

وإن انتصار الحق على الباطل أمرٌ قدّره الله سبحانه منذ خلق السماوات والأرض، إلا أن الانتماء لفريق الحق والتشبث بحبل الله المتين، هو المطلوب منا خاصةً في وقت تمر به الأمة المسلمة بمرحلة استضعاف واحتلال بكل أصنافه وأوجهه.

ولعل أخطر احتلال علينا مواجهته هو احتلال الأذهان الذي يسعى لوأد الفكرة الإسلامية في قلب كل مسلم ومسلمة.

ومن هذا المنطلق علينا أن نبقى على وصالٍ دائمٍ مع كل ما يتصل بأصالة هذا الدين وقيمه ومفاهيمه ومبادئه وتاريخه ومستقبله وقبل ذلك كله أسس عقيدته، لكي نتمكن من مواجهة قوى الشر والظلم التي تحاصرنا منذ أمد وتحاول أن تُثني عزمنا في النهوض بإعدادٍ يليق بأمةٍ كُتب لها النصر.

نعم فنحن أمةٌ كتب لها النصر المؤزر، وعلينا أن نقدم في كل يوم في محور الزمن القدوة والمثل لخير أمة أخرجت للناس.

ولسنا إلا حلقةً من سلسلةٍ متصلة من الأجيال التي تتوارث العهد لبناء قبة النصر النهائية، ولن يكون ذلك إلا بالرجوع لديننا والتمسك بسنة نبيّنا صلى الله عليه وسلم وما كان عليه السلف الصالح. كي لا نضل ولا نشقى.

أما ما دونه من تخاريف البشر فلا تغني ولا تسمن من جوع، ندوسها بأقدامنا، ليكون استعلاؤنا بالإيمان عبرة للبشر!

كتبت هذه الحروف بتقصـــيرٍ أعلمه ورغبةً في تقديم الأفضـــل لم أبلغها، ولكن حســـبي أنني بلغت آية، ومعذرةً إلى ربكم، إن إليه الرجعى.

ليلى حمدان